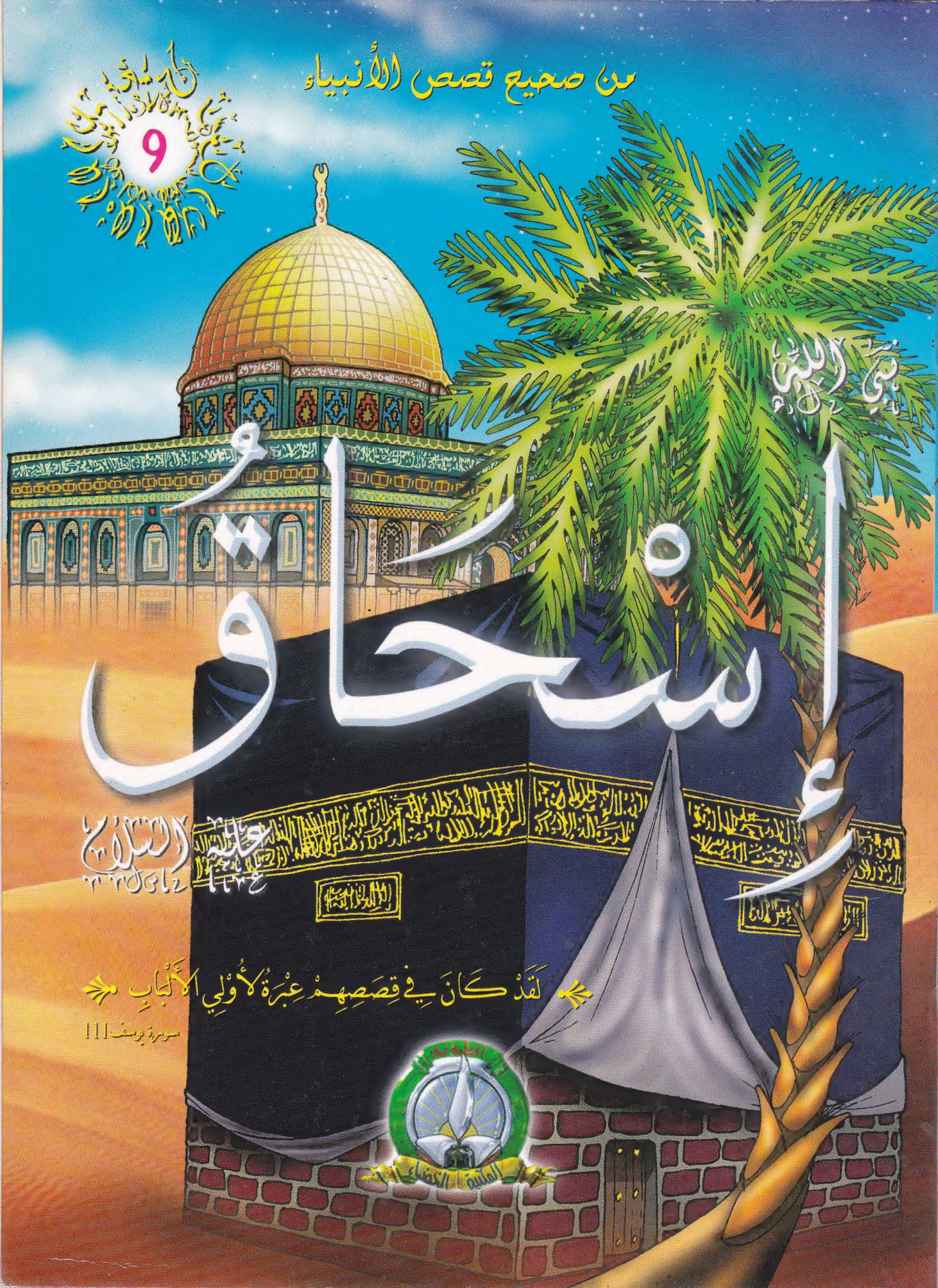

من صحيح قصص الأنبياء
9
نبي الله
إسْحَاقُ
عليه السلام
لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولِي الأَلْبَابِ
سورة يوسف 111

9

من صحيح قصص الأنبياء

لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ سورة يوسف 111

نبي الله

إسْحَاقُ

عليه السلام

إعداد: قندوزي كمال

مراجعة علمية: مشري عمر - مراجعة لغوية: ساعد العلوي

الطبعة الرابعة

المكتبة الخضراء

للطباعة والنشر والتوزيع

الإيداع القانوني: 2007-3553   1أ طريق الزواوة الشراقة الجزائر   ردمك: 978-9961-25-004-4

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ ..﴾

(سورة الصافات، الآية 112-113)

أُمْنِيَّةُ الْوَلَدِ

لَمَّا كَبِرَ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ عليه السلام وَأَصْبَحَ شَيْخًا، أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَوْلَادٌ، لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ إِنْ مَاتَ فَلَنْ يَكُونَ هُنَاكَ مَنْ يَدْعُو إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ وَعِبَادَتِهِ، وَلَنْ يَكُونَ فِي هَذِهِ الأَرْضِ إِلَّا الْمُشْرِكُونَ الْعُصَاةُ، الَّذِينَ لَا يَعْبُدُونَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَلَا يُوَحِّدُونَهُ، وَيَكْثُرُ بِذَلِكَ بَيْنَ النَّاسِ الشَّرُّ وَسَفْكُ الدِّمَاءِ وَقَطْعُ الأَرْحَامِ، وَالْقَوِيُّ فِيهِمْ يَأْكُلُ الضَّعِيفَ، وَيَقِلُّ الْخَيْرُ فِيهِمْ، فَالمَعْرُوفُ عِنْدَهُمْ يُصْبِحُ مُنْكَرًا، وَالْمُنْكَرُ مَعْرُوفًا، وَلَيْسَ هُنَاكَ مَنْ يُبَيِّنُ لَهُمُ الْمَعْرُوفَ أَوِ الْمُنْكَرَ، فَتَخْتَلِطُ بِذَلِكَ أُمُورُهُمْ، وَيَتِيهُونَ عَنِ الطَّرِيقِ، وَيَضِلُّونَ ضَلَالًا بَعِيدًا، وَلِذَلِكَ كَانَ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ يَتَمَنَّى أَنْ يَرْزُقَهُ اللَّهُ ذُرِّيَّةً يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ، وَيُعَلِّمُهُمُ التَّوْحِيدَ وَعِبَادَةَ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الشِّرْكِ، فَتَكُونَ ذُرِّيَّتُهُ هَذِهِ خَلَفًا لَهُ فِي دَعْوَةِ النَّاسِ إِلَى الْخَيْرِ وَنَهْيِهِمْ عَنِ الشَّرِّ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ أَوْلَادٌ لِأَنَّ زَوْجَتَهُ سَارَةَ عَاقِرٌ لَا تَلِدُ، وَلَكِنَّ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ عليه السلام يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ مَهْمَا كَانَ، فَلَوْ أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَكُونَ لَقَالَ لَهُ

كُنْ فَيَكُونُ؛ فَهُوَ الَّذِي خَلَقَ آدَمَ عليه السلام مِنْ غَيْرِ أَبٍ وَلَا أُمٍّ، وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ هَذَا الْكَوْنَ الْفَسِيحَ بِشَمْسِهِ وَقَمَرِهِ وَنُجُومِهِ، وَسَوَّى هَذِهِ الأَرْضَ، وَجَعَلَ فِيهَا الْبِحَارَ وَالأَنْهَارَ وَالأَشْجَارَ وَالثِّمَارَ وَالأَزْهَارَ وَالتُّرَابَ وَالزَّرْعَ، وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ كُلَّ المَخْلُوقَاتِ مِنَ الطُّيُورِ وَالْحَيَوَانَاتِ وَالْحَشَرَاتِ وَالْحِيتَانِ وَالأَسْمَاكِ، وَحَيَوَانَاتٍ أُخْرَى لَا تُرَى بِالْعَيْنِ، فَقُدْرَةُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ كَبِيرَةٌ لَاحُدُودَ لَهَا.

وَإِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ عليه السلام يَعْلَمُ هَذَا، وَزَوْجَتُهُ سَارَةُ كَذَلِكَ تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُصْلِحَهَا وَيُغَيِّرَ مِنْ حَالِهَا، فَإِنَّهُ قَادِرٌ عَلَى ذَلِكَ؛ فَالَّذِي خَلَقَهَا عَاقِرًا قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَجْعَلَهَا وَلُودًا، سَأَلَ إِبْرَاهِيمُ رَبَّهُ الْقَدِيرَ أَنْ يَرْزُقَهُ ذُرِّيَّةً وَأَنْ يُكْثِرَ مِنْ نَسْلِهِ، فَاسْتَجَابَ اللَّهُ دَعْوَةَ عَبْدِهِ، وَسَوْفَ يُعْطِيهِ الْبَنِينَ كَمَا أَرَادَ، لَكِنْ فِي الْوَقْتِ الَّذِي يُرِيدُهُ الْخَالِقُ جَلَّ وَعَلَا. وَهَذَا دَرْسٌ لِلنَّاسِ جَمِيعًا؛ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ يَسْتَجِيبُ لِعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ حَتْمًا، وَلَكِنْ فِي الْوَقْتِ الَّذِي يُرِيدُهُ هُوَ جَلَّ شَأْنُهُ.

النَّجَاةُ مِنْ مَلِكِ مِصْرَ

لَمَّا دَخَلَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام مَعَ زَوْجَتِهِ إِلَى مِصْرَ رَآهُ حَرَسُ الْمَلِكِ فَجَاءُوا إِلَيْهِ، وَأَخْبَرُوهُ بِأَنَّهُ دَخَلَ بَلَدَهُ رَجُلٌ مَعَ امْرَأَةٍ مِنْ أَجْمَلِ النِّسَاءِ، لَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مُنْذُ حَوَّاءَ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا أَجْمَلَ مِنْهَا، لَا يَرَاهَا أَحَدٌ إِلَّا وَتَعَجَّبَ مِنْ جَمَالِهَا، فَهِيَ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْجَمَالِ، وَقَدْ كَانَ هَذَا الْمَلِكُ جَبَّارًا مُتَكَبِّرًا، إِذَا أَرَادَ شَيْئًا فَإِنَّهُ يَأْخُذُهُ بِأَيَّةِ طَرِيقَةٍ وَلَوْ بِالْقُوَّةِ، أَرَادَ أَنْ يَأْخُذَ سَارَةَ إِلَيْهِ، فَبَعَثَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عليه السلام وَسَأَلَهُ قَائِلًا: مَنْ هَذِهِ الْمَرْأَةُ الَّتِي مَعَكَ.؟ فَلَوْ قَالَ: إِنَّهَا زَوْجَتِي لَقَتَلَهُ الْمَلِكُ وَأَخَذَ سَارَةَ، وَاهْتَدَى نَبِيُّ اللَّهِ إِلَى فِكْرَةٍ لِيُبْعِدَ عَنْهُ السُّوءَ، فَقَالَ: إِنَّهَا أُخْتِي. وَقَصْدُهُ أَنَّهَا أُخْتُهُ فِي اللَّهِ، وَلَا يَعْنِي نَبِيُّ اللَّهِ أَنَّهَا أُخْتُهُ مِنْ أَبٍ وَأُمٍّ، فَظَنَّ ذَلِكَ الْمَلِكُ لَمَّا سَمِعَ كَلَامَهُ أَنَّهَا أُخْتُهُ فِعْلًا، فَتَرَكَهُ وَلَمْ يُؤْذِهِ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَبْعَثَ بِهَا إِلَيْهِ، وَخَرَجَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام مِنْ قَصْرِ الْمَلِكِ، وَذَهَبَ إِلَى زَوْجَتِهِ سَارَةَ وَقَالَ لَهَا: يَا سَارَةُ لَيْسَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ مُؤْمِنٌ غَيْرِي وَغَيْرُكِ، وَإِنَّ هَذَا الْمَلِكَ سَأَلَنِي عَنْكِ، فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّكِ أُخْتِي، لأَنِّي لَوْ أَخْبَرْتُهُ بِأَنَّكِ

زَوْجَتِي فَإِنَّهُ سَيَقْتُلُنِي، فَإِذَا دَخَلْتِ عَلَيْهِ وَسَأَلَكِ فَأَخْبِرِيهِ أَنِّي أُخُوكِ وَلَا تُكَذِّبِينِي.

ذَهَبَتْ سَارَةُ إِلَى الْقَصْرِ وَدَخَلَتْ عَلَى الْمَلِكِ، وَلَمَّا رَآهَا تَعَجَّبَ مِنْ جَمَالِهَا، لِأَنَّهُ لَمْ يَرَ فِي حَيَاتِهِ أَجْمَلَ مِنْهَا، أَمَّا هِيَ فَإِنَّهَا تَوَضَّأَتْ وُضُوءًا حَسَنًا، ثُمَّ قَامَتْ فَصَلَّتْ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ، وَهِيَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْمَلِكَ الْجَبَّارَ لَيْسَ هُنَاكَ مَنْ يَرُدُّهُ عَنْ مُرَادِهِ مِنْهَا إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَتْ فِي دُعَائِهَا: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي آمَنْتُ بِكَ وَبِرَسُولِكَ وَأَحْصَنْتُ فَرْجِي إِلَّا عَلَى زَوْجِي فَلَا تُسَلِّطْ عَلَيَّ هَذَا الْكَافِرَ، لَمَّا أَرَادَ الْمَلِكُ بِهَذِهِ الْمَرْأَةِ الطَّاهِرَةِ سُوءًا دَافَعَ اللَّهُ عَنْهَا، فَهُوَ سُبْحَانَهُ الْمُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا، اخْتَنَقَ الظَّالِمُ اخْتِنَاقًا عَظِيمًا حَتَّى سَقَطَ عَلَى الْأَرْضِ، وَأَخَذَ يَتَخَبَّطُ بِرِجْلَيْهِ، أَمَّا إِبْرَاهِيمُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ عليه السلام فَإِنَّهُ لَمَّا خَرَجَتْ سَارَةُ قَامَ فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى، وَأَخَذَ يَدْعُو اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَحْفَظَهُ وَزَوْجَتَهُ مِنْ هَذَا الْجَبَّارِ الْعَنِيدِ، وَأَنْ يُخَلِّصَهَا مِنْهُ، لِأَنَّهُ هُوَ الْوَاحِدُ الْقَادِرُ عَلَى ذَلِكَ، أَمَّا فِي الْقَصْرِ فَإِنَّ الْمَلِكَ لَمَّا بَقِيَ يَتَخَبَّطُ فِي ذَلِكَ الْخِنَاقِ الشَّدِيدِ، خَافَتْ سَارَةُ مِنْ ذَلِكَ وَقَالَتْ: اللَّهُمَّ إِنْ يَمُتْ فَإِنَّهُمْ

سَيَتَّهِمُونَنِي بِأَنِّي أَنَا الَّتِي قَتَلْتُهُ. فَأَنْقِذْنِي يَا رَبِّ مِنَ التُّهْمَةِ، فَاسْتَجَابَ اللَّهُ دُعَاءَهَا وَاسْتَفَاقَ الْمَلِكُ مِنْ تِلْكَ الشِّدَّةِ الَّتِي كَانَ فِيهَا، وَبَدَلًا مِنْ أَنْ يَتَّعِظَ بِمَا حَدَثَ لَهُ أَرَادَ مَرَّةً أُخْرَى أَنْ يُؤْذِيَهَا، فَقَامَتْ وَتَوَضَّأَتْ وَصَلَّتْ وَقَالَتْ فِي دُعَائِهَا كَمَا قَالَتْ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى، وَاخْتَنَقَ الْمَلِكُ اخْتِنَاقًا أَكْبَرَ مِنَ الْأَوَّلِ وَسَقَطَ عَلَى الْأَرْضِ، وَأَخَذَ يَتَخَبَّطُ بِرِجْلَيْهِ وَكَأَنَّهُ مَذْبُوحٌ، خَافَتْ سَارَةُ أَنْ يَمُوتَ وَقَالَتْ: اللَّهُمَّ إِنْ يَمُتِ الْآنَ فَإِنَّهُمْ سَيَقُولُونَ: إِنِّي أَنَا الَّتِي قَتَلْتُهُ، فَأَطْلَقَهُ اللَّهُ وَاسْتَفَاقَ، وَعَادَ كَمَا كَانَ مُعَافًى، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَتَّعِظْ أَيْضًا وَأَرَادَ بِهَا سُوءًا، فَقَامَتْ وَتَوَضَّأَتْ ثُمَّ صَلَّتْ وَدَعَتْ رَبَّهَا أَيْضًا بِمَا دَعَتْ بِهِ أَوَّلًا، وَاخْتَنَقَ الظَّالِمُ اخْتِنَاقًا أَكْبَرَ، ثُمَّ سَقَطَ عَلَى الْأَرْضِ وَأَخَذَ يَتَخَبَّطُ بِرِجْلَيْهِ حَتَّى خَافَتْ سَارَةُ مِنْ ذَلِكَ، فَدَعَتْ بِمَا دَعَتْ بِهِ سَابِقًا فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالَةِ. اسْتَفَاقَ الْمَلِكُ الْجَبَّارُ وَعَلِمَ أَنَّهُ لَنْ يَسْتَطِيعَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهَا بِسُوءٍ، فَقَالَ لِجُنُودِهِ: مَا أَرْسَلْتُمْ إِلَيَّ إِلَّا شَيْطَانًا، ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يُرْجِعُوهَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ عليه السلام وَأَنْ يُعْطُوهَا هَاجَرَ لِتَخْدُمَهَا؛ إِذْ رَأَى أَنَّ سَارَةَ لَا يَنْبَغِي أَنْ تَخْدُمَ نَفْسَهَا بِنَفْسِهَا، فَهِيَ كَالْمَلِكَةِ

فِي جَمَالِهَا. وَلَمَّا جَاءَتْ إِلَى إِبْرَاهِيمَ عليه السلام وَجَدَتْهُ قَائِمًا يُصَلِّي، فَقَالَتْ لَهُ بَعْدَ صَلاتِهِ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ رَدَّ كَيْدَ الْكَافِرِ عَنِّي وَأَعْطَانِي خَادِمَةً.

جَوَازُ الْكَذِبِ لِإِبْرَاهِيمَ

كَانَتْ الْكِذْبَةُ الَّتِي كَذَبَهَا إِبْرَاهِيمُ عليه السلام عَلَى الْمَلِكِ لَمَّا قَالَ لَهُ: إِنَّ سَارَةَ هِيَ أُخْتِي، هِيَ الْكَذْبَةَ الأُولَى، وَكَانَ لِإِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ كِذْبَتَانِ أُخْرَيَانِ، وَهَذِهِ الْكِذْبَاتُ لَيْسَتْ مُحَرَّمَةً، وَهُوَ مَعْصُومٌ وَمُنَزَّهٌ عَنِ الْكَذِبِ، وَمِنْ كِبَارِ الرُّسُلِ، وَلَكِنَّهُ فَعَلَهَا لِيَنْصُرَ دِينَ اللَّهِ، فَالْكِذْبَتَانِ الأُخْرَيَانِ اللَّتَانِ كَذَبَهُمَا إِبْرَاهِيمُ عليه السلام هُمَا: الأُولَى لَمَّا كَانَ مَعَ قَوْمِهِ يُنَاقِشُهُمْ فِي الأَصْنَامِ الَّتِي عَبَدُوهَا، فَأَرَادَ قَوْمُهُ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْ مَعْبَدِهِمْ بَعْدَ أَدَاءِ طُقُوسِهِمُ الدِّينِيَّةِ لِيَحْتَفِلُوا بِيَوْمِ عِيدِهِمْ خَارِجَ الْمَدِينَةِ، فَقَالُوا لَهُ: أَلَا تَخْرُجُ مَعَنَا لِنَحْتَفِلَ بِالْعِيدِ، قَالَ لَهُمْ: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات، 89]. أَيْ إِنِّي مَرِيضٌ، وَلَمْ يَكُنْ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ مَرِيضًا، كَذَبَ عَلَيْهِمْ لِيَفْعَلَ شَيْئًا بِأَصْنَامِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ، هَذِهِ هِيَ الْكِذْبَةُ الثَّانِيَةُ، ثُمَّ دَخَلَ إِلَى مَعْبَدِهِمْ وَحَطَّمَ أَصْنَامَهُمْ، وَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهَا إِلَّا الصَّنَمَ

الْكَبِيرَ، وَلَمَا أَرَادَ الْخُرُوجَ عَلَّقَ عَلَى صَنَمِهِمْ ذَاكَ الْقَدُومَ الَّتِي حَطَّمَ بِهَا الأَصْنَامَ. وَلَمَّا جَاءُوا وَرَأَوْا آلِهَتَهُمْ مُحَطَّمَةً، جَاءُوا بِهِ وَسَأَلُوهُ مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِهِمْ، أَأَنْتَ يَا إِبْرَاهِيمُ؟ فَقَالَ لَهُمْ: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ [الأنبياء، 63]، وَهَذِهِ هِيَ الْكِذْبَةُ الثَّالِثَةُ لأَنَّ ذَلِكَ الصَّنَمَ لَا يَتَحَرَّكُ وَلَا يَتَكَلَّمُ، فَكَيْفَ يُحَطِّمُ بَقِيَّةَ الأَصْنَامِ، هَذِهِ كِذْبَاتٌ لَكِنَّهَا كَانَتْ فِي سَبِيلِ نُصْرَةِ دِينِ اللَّهِ.

مَا بَعْدَ مِيلَادِ إِسْمَاعِيلَ

عَادَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام مَعَ زَوْجَتِهِ سَارَةَ وَخَادِمَتِهَا هَاجَرَ إِلَى الشَّامِ، وَكَانَتْ سَارَةُ تَعْلَمُ أَنَّ زَوْجَهَا يُحِبُّ الأَبْنَاءَ، فَأَعْطَتْهُ هَاجَرَ، عَسَى أَنْ يُرْزَقَ مِنْهَا بِأَبْنَاءٍ، فَأَنْجَبَتْ هَاجَرُ ابْنَهَا إِسْمَاعِيلَ عليه السلام، غَارَتْ سَارَةُ، وَلَمَّا رَأَى نَبِيُّ اللَّهِ ذَلِكَ أَخَذَ هَاجَرَ مَعَ ابْنِهَا إِلَى أَرْضِ الْحِجَازِ، إِلَى جِبَالِ فَارَانَ بِمَكَّةَ فَتَرَكَهَا هُنَاكَ وَحْدَهَا بِأَمْرٍ مِنَ اللَّهِ، ثُمَّ دَعَا لَهُمَا، وَرَجَعَ إِلَى زَوْجَتِهِ سَارَةَ.

كَانَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام يَزُورُ هَاجَرَ وَابْنَهَا بَيْنَ الْحِينِ وَالْحِينِ، وَلَكِنَّ مُعْظَمَ وَقْتِهِ كَانَ يَقْضِيهِ مَعَ زَوْجَتِهِ سَارَةَ

بِالشَّامِ، لأَنَّهَا كَانَتْ زَوْجَتَهُ الأُولَى، وَكَمْ تَمَنَّتْ سَارَةُ أَنْ يَكُونَ لَهَا أَوْلادٌ مِثْلَ هَاجَرَ، وَمِنْ طَبِيعَةِ الْمَرْأَةِ أَنَّهَا تُحِبُّ الأَوْلادَ؛ تَعْطِفُ عَلَيْهِمْ وَتَضُمُّهُمْ إِلَيْهَا وَتَحْنُو عَلَيْهِمْ، وَتُرَبِّيهِمْ أَحْسَنَ تَرْبِيَةٍ، فَيَكُونُ أَبْنَاؤُهَا كَأَبِيهِمْ دُعَاةً إِلَى اللَّهِ يَعْبُدُونَهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَيَدْعُونَ النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَإِلَى تَرْكِ الشِّرْكِ الْمُنْتَشِرِ كَثِيرًا، وَلَيْسَ هُنَاكَ فَوْقَ الأَرْضِ فِي تِلْكَ الْفَتْرَةِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ إِلَّا خَلِيلَ الرَّحْمَنِ وَزَوْجَتَهُ سَارَةَ وَخَادِمَتَهَا هَاجَرَ، وَهِيَ تُحِبُّ أَنْ يَكُونَ أَهْلُ الأَرْضِ كُلُّهُمْ يَعْبُدُونَ اللَّهَ وَيُوَحِّدُونَهُ، وَعَلِمَتْ أَنَّهُ جَلَّ وَعَلا قَدِ اسْتَجَابَ دُعَاءَ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام بِأَنْ يَرْزُقَهُ ذُرِّيَّةً صَالِحَةً، فَأَحَبَّتْ أَنْ تَكُونَ لَهَا ذُرِّيَّةٌ حَتَّى تُصِيبَهَا دَعْوَةُ زَوْجِهَا.

تَبْشِيرٌ بِإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ

وَبَعْدَ أَنْ مَضَى عَلَى وِلادَةِ إِسْمَاعِيلَ عليه السلام مِنْ هَاجَرَ ثَلاثَ عَشْرَةَ سَنَةً أَرَادَ اللَّهُ بِقُدْرَتِهِ أَنْ يَرْزُقَ سَارَةَ بِوَلَدٍ حَتَّى تَقَرَّ عَيْنُهَا، وَتَفْرَحَ بِمَوْلُودِهَا، وَذَلِكَ أَنَّهُ جَلَّ شَأْنُهُ لَمَّا عَلِمَ أَنَّ قَوْمَ لُوطٍ لَنْ يُؤْمِنُوا بِدَعْوَتِهِ، اشْتَدَّ غَضَبُهُ عَلَيْهِمْ، فَبَعَثَ بِثَلاثَةٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ لِيُدَمِّرُوا قَرْيَةَ قَوْمِ لُوطٍ، وَأَمَرَهُمْ سُبْحَانَهُ بِأَنْ يَمُرُّوا عَلَى إِبْرَاهِيمَ عليه السلام لِيُبَشِّرُوهُ بِمَوْلُودٍ،

وَيُخْبِرُوهُ عَنْ قَوْمِ لُوطٍ عليه السلام، وَكَيْفَ أَنَّهُمْ عَتَوْا وَتَجَبَّرُوا وَعَصَوْا أَوَامِرَهُ الَّتِي بَلَّغَهَا لَهُمْ نَبِيُّهُمْ، وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ ذَلِكَ فَقَالَ: (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ) [الذاريات، 24] ذَكَرَ أَنَّهُمْ مُكْرَمُونَ أَطْهَارٌ، وَظَنَّ إِبْرَاهِيمُ أَنَّهُمْ أُنَاسٌ مُسَافِرُونَ مَرُّوا عَلَيْهِ، (إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ - أي الْمَلائِكَةُ - فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ) [الذاريات، 25]، فَلَمَّا سَلَّمُوا عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ ذَهَبَ لِيُقَدِّمَ لَهُمُ الأَكْلَ (فَرَاغَ - ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ فِي خِفْيَةٍ مِنْ ضُيُوفِهِ - إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ) [الذاريات، 26] وَهَذَا لِكَرَمِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام إِذْ كَانَ أَوَّلَ مَنِ اسْتَضَافَ الضُّيُوفَ، وَقَدَّمَ لَهُمْ عِجْلًا مَشْوِيًّا سَمِينًا (فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ)[الذاريات، 27]، (فَلَمَّا رَءَا أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ - أَحَسَّ - مِنْهُمْ خِيفَةً) [هود، 70] لأَنَّ أَمْرَهُمْ يَدْعُو إِلَى الاسْتِغْرَابِ وَالاسْتِنْكَارِ، فَكَيْفَ يُقَدِّمُ لَهُمُ الأَكْلَ وَيَمْتَنِعُونَ عَنْهُ رَغْمَ أَنَّهُ أَكْلٌ شَهِيٌّ وَلَذِيذٌ؟!، وَظَنَّ أَنَّهُمْ أُنَاسٌ عَادِيُّونَ، إِلَى أَنْ قَالُوا مُطَمْئِنِينَ لَهُ: (لَا تَخَفْ) [هود، 70] هُنَالِكَ اطْمَأَنَّ، ثُمَّ أَخْبَرُوهُ بِالسَّبَبِ الَّذِي أُرْسِلُوا مِنْ أَجْلِهِ فَقَالُوا لَهُ: (إِنَّا أُرْسِلْنَا

﴿إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾ [هود، 70] لأَنَّهُمْ عُصَاةٌ، وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام وَزَوْجَتُهُ يَعْرِفَانِ فَسَادَهُمْ وَعِصْيَانَهُمْ، وَلَمَّا سَمِعَتْ سَارَةُ بِأَنَّ هَؤُلَاءِ الْمَلَائِكَةَ جَاءُوا لِتَدْمِيرِهِمْ، فَرِحَتْ بِذَلِكَ، قَالَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ: ﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ﴾ [هود، 71] لأَنَّ اللَّهَ أَحَبَّ أَنْ يُدَمِّرَ قَوْمَ لُوطٍ عليه السلام، وَهِيَ تُحِبُّ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ، لِذَلِكَ ضَحِكَتْ، ثُمَّ بَشَّرَهَا هَؤُلَاءِ الْمَلَائِكَةُ بِمَا كَانَتْ تَتَمَنَّاهُ ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ﴾ [هود، 71] وَلَيْسَ هَذَا فَقَطْ بَلْ بَشَّرُوهَا أَنَّ عُمُرَهَا سَيَطُولُ حَتَّى تَرَى ابْنَ إِسْحَاقَ عليه السلام، فَقَالُوا لَهَا: ﴿وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود، 71] فَتَعَجَّبَتْ مِنْ ذَلِكَ أَشَدَّ الْعَجَبِ، حَتَّى إِنَّهَا جَاءَتْ وَهِيَ تَصْرُخُ كَمَا قَالَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ: ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ﴾ [الذريات، 29] أَيْ جَاءَتْ وَهِيَ تَصْرُخُ ثُمَّ ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ [الذريات، 29] أَيْ فَعَلَتْ لَمَّا سَمِعَتْ بِهَذِهِ الْبُشْرَى، كَمَا يَفْعَلُ النِّسَاءُ عِنْدَ التَّعَجُّبِ، لَطَمَتْ وَجْهَهَا ثُمَّ قَالَتْ: ﴿أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي - أَيْ زَوْجِي - شَيْخًا﴾ [هود، 72] أَيْ كَيْفَ أَلِدُ وَأَنَا كَبِيرَةُ السِّنِّ وَعَقِيمَةٌ وَزَوْجِي إِبْرَاهِيمُ عليه السلام شَيْخٌ، فَقَالَ لَهَا الْمَلَائِكَةُ: ﴿أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [هود، 73].

أَمَّا إِبْرَاهِيمُ عليه السلام فَإِنَّهُ تَعَجَّبَ أَيْضًا مِنْ ذَلِكَ وَقَالَ لَهُمْ: ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ [الحجر، 54] فَرَدَّ الْمَلَائِكَةُ قَائِلِينَ: ﴿بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ﴾ [الحجر، 55] أَيْ كَيْفَ تَقُولُ هَذَا يَا إِبْرَاهِيمُ؟ أَأَنْتَ يَائِسٌ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ؟ إِنَّهُ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. لَكِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ لَمْ يَيْأَسْ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَيَعْلَمُ أَنَّ الَّذِينَ يَيْأَسُونَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ هُمُ الْكَافِرُونَ الضَّالُّونَ، وَلِذَلِكَ قَالَ: ﴿وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر، 56] فَكَانَ سُؤَالُهُ سُؤَالَ تَعَجُّبٍ وَلَيْسَ سُؤَالَ إِنْكَارٍ، وَعَنْ هَذَا الْغُلَامِ قَالَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ: ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ [الذريات، 28].

إِكْرَامُ اللَّهِ بَيْتَ النُّبُوَّةِ

كَانَ هَذَا الْغُلَامُ الْعَلِيمُ هُوَ إِسْحَاقَ عليه السلام، فَقَدْ أُوتِيَ عِلْمًا كَثِيرًا، كَمَا كَانَ إِسْمَاعِيلُ الِابْنُ الْأَكْبَرُ لِإِبْرَاهِيمَ أُوتِيَ حِلْمًا عَظِيمًا. أَرَادَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِسَارَةَ وَزَوْجِهَا خَيْرًا وَرَحْمَةً، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ: ﴿رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ [هود، 73] وَهُمْ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام وَزَوْجَتُهُ وَخَادِمَتُهُ هَاجَرُ وَأَوْلَادُهُ،

وَبَارَكَ اللَّهُ عَلَى هَذَا الْبَيْتِ الشَّرِيفِ، وَأَكْرَمَ ذُرِّيَّتَهُ وَجَعَلَهُمْ أَنْبِيَاءَ وَرُسُلاً، وَبَعْدَ أَنْ أَكْرَمَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِهَذِهِ الذُّرِّيَّةِ وَهُوَ عَجُوزٌ، حَمِدَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ عَلَى ذَلِكَ فَقَالَ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [إبراهيم، 39] قَدْ سَمِعَ اللَّهُ لِدُعَاءِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام فَرَزَقَهُ أَبْنَاءً، ثُمَّ دَعَا رَبَّهُ أَنْ يَجْعَلَ هَذِهِ الذُّرِّيَّةَ مِنْ عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ وَمِنَ الْمُقِيمِينَ لِلصَّلَاةِ فَقَالَ: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ [إبراهيم، 40].

وَهَكَذَا كَانَ إِسْمَاعِيلُ عليه السلام فِي الْحِجَازِ بِالْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ يُعَلِّمُ النَّاسَ، وَكَانَ إِسْحَاقُ عليه السلام بِالشَّامِ مَعَ أَبِيهِ فَكَبِرَ عَلَى الصَّلَاحِ وَالتَّقْوَى، ثُمَّ خَتَنَهُ أَبُوهُ إِبْرَاهِيمُ، وَتَزَوَّجَ فَوُلِدَ لَهُ غُلَامٌ سَمَّاهُ يَعْقُوبَ، وَهَذَا كُلُّهُ فِي حَيَاةِ أُمِّهِ سَارَةَ، فَأَقَرَّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَيْنَ سَارَةَ وَأَسْعَدَهَا بِوَلَدِهَا وَحَفِيدِهَا بَعْدَ أَنْ بَلَغَتْ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا، أَيْ بَلَغَتْ إِلَى حَالَةٍ لَا سَبِيلَ لِمُدَاوَاتِهَا. مَاتَتْ سَارَةُ رَحِمَهَا اللَّهُ تَارِكَةً وَرَاءَهَا ابْنَهَا إِسْحَاقَ وَابْنَهُ يَعْقُوبَ عليهما السلام، ثُمَّ مَاتَ زَوْجُهَا بَعْدَهَا بِمُدَّةٍ قَصِيرَةٍ، وَدَفَنَهُ إِسْمَاعِيلُ وَإِسْحَاقُ عليهما السلام بِجِوَارِ

قَبْرِهَا فِي الشَّامِ بِبَلَدِ حِبْرُونَ، وَهُوَ الْبَلَدُ الَّذِي يُسَمَّى الْيَوْمَ الْخَلِيلَ بِفِلَسْطِينَ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ تُوُفِّيَ إِسْحَاقُ ثُمَّ تُوُفِّيَ يَعْقُوبُ عليهما السلام وَدُفِنَا أَيْضًا فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ، الَّذِي يُسَمَّى الْمَرْبَعَ، لِأَنَّ الْمَدْفُونِينَ فِيهِ أَرْبَعَةٌ: سَارَةُ وَإِبْرَاهِيمُ وَإِسْحَاقُ وَيَعْقُوبُ عليهم السلام، وَالَّذِي بَنَى هَذَا الْمَرْبَعَ هُوَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ عليهما السلام.

وَقَدْ كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ إِسْحَاقُ كَرِيمًا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الْعُظَمَاءِ؛ إِذْ لَمَّا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَنِ الْكَرِيمِ، قَالَ: "إِنَّ الْكَرِيمَ بْنَ الْكَرِيمِ بْنِ الْكَرِيمِ بْنِ الْكَرِيمِ هُوَ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ"، وَمَعْلُومٌ أَنَّ أَصْلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ هُمُ الْيَهُودُ يَعُودُ إِلَى إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عليهما السلام، كَانَ هَذَا النَّبِيُّ دَاعِيًا إِلَى اللَّهِ كَأَبِيهِ يَأْمُرُ النَّاسَ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَهُوَ التَّوْحِيدُ، وَبِاجْتِنَابِ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، وَكَانَ يَأْمُرُهُمْ بِفِعْلِ الطَّاعَاتِ وَتَرْكِ الْمُنْكَرَاتِ، إِلَى أَنْ مَاتَ بَعْدَ أَنْ قَضَى حَيَاتَهُ كُلَّهَا عَلَى ذَلِكَ.

وَيَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقَ يُدْعَى كَذَلِكَ "إِسْرَائِيلَ"، وَأَبْنَاؤُهُ مِنْ بَعْدِهِ يُسَمُّونَ "بَنِي إِسْرَائِيلَ"، وَقَدْ خَاطَبَهُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ كَثِيرًا بِهَذَا الِاسْمِ فَقَالَ: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.

أسئلة استيعاب القصة:

1- ماذا وقع لإبراهيم عليه السلام، عند دخوله مع زوجته على الملك. اذكر ذلك بإيجاز.

2- بعد أن نَجّى الله سارة من الملك الجبار ماذا أهداها؟

3- كذب إبراهيم عليه السلام على الملك؟ ما هي هذه الكذبة؟ ولماذا كذب؟

4- هذه كذبة أولى، وهناك كذبتان أخريان حدثتا مع قومه، فما هما؟

اذكر في الأخير: هل تعد الكذبات الثلاث ذنبا على خليل الرحمن؟ لماذا؟

5- تمنت لإبراهيم زوجتُهُ سارةُ الولدَ، فماذا فعلت بعد إهداء الملك الجبار لها تلك الهدية؟

6- كما تمنت بعد ذلك بزمن أن يكون لها ولد من بطنها فهل لبى الله لها ما تتمنى؟ ومن بشرها بذلك وفي أية مناسبة؟ وكيف قابلت تلك المفاجأة؟

7- اذكر الآية الَّتي شكر فيها إبراهيم الخليل الله على رزقه إسماعيل وإسحاق، والآية التي دعا فيها لنفسه وذريته.

8- بعد أن كبر إسحاق عليه السلام وتزوج رزق بولد، ما اسمه؟ وهل كانت أمه سارة لا تزال حية؟

9- دفن أشخاص من أسرة النبوة الطاهرة في مكان يسمى "المربع". ما اسمُ البلد الذي يقع فيه "المربع" في التاريخ؟ وما اسمه اليوم؟

10- استخرج من القصة موقفا يمثل الحق والخير، وموقفا يمثل الظلم والشر. واذكر صاحب كل منهما.

11- اختر من القصة عبرة ودرسا عن عاقبة أهل الخير، وعاقبة أهل الشر.

12- كيف يدعى "يعقوب عليه السلام"؟ وكيف سمي أبناؤه من بعهده؟ وكيف نادى الله تعالى اليهود في القرآن الكريم؟

بسم الله الرحمن الرحيم

يُسْعِدُنا أَنْ نَضَعَ بَيْنَ يَدَيْكَ، عَزِيزِي الْقَارِئَ الصَّغِيرَ، هَذِهِ السِّلْسِلَةَ الْمَوْضُوعَةَ بِلُغَةٍ وَ أُسْلُوبٍ يَسْمَحَانِ لَكَ بِإِدْرَاكِ جُمْلَةٍ مِنَ الْمَعَارِفِ عَنْ سِيَرِ الأَنْبِيَاءِ الَّتِي نَتَوَخَّى مِنْهَا أَنْ تُحَقِّقَ أَهْدَافَهَا التَّرْبَوِيَّةَ، وَ يَسْتَخْلِصَ أَبْنَاؤُنَا وَ بَنَاتُنَا الْعِبَرَ بِمَا لَحِقَ الأَنْبِيَاءَ فِي سَبِيلِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ، وَكَيْفَ كَانَتْ مُعَانَاتُهُم مَعَ أَقْوَامِهِمْ وَإِذَايَاتُهُمْ لَهُمْ. وَ مَعَ ذَالِكَ فَقَدْ وَاجَهُوا أَقْوَامَهُم بِمَنْهَجٍ قَوِيمٍ، هُوَ الدَّعْوَةُ إِلَى اللهِ بِالرِّفْقِ وَ اللِّينِ وَ الْمُجَادَلَةِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، حَتَّى يُبْلِغُوا دِينَ اللهِ إِلَى النَّاسِ، فَيَتَّخِذَهُمُ الْقَارِئُ نِبْرَاسًا فِي حَيَاتِهِ، وَ يَقْتَدِي بِهِمْ، وَ قَدْ بَذَلْنَا جُهْداً فِي تَنْقِيحِ هَذِهِ الطَّبْعَةِ الْجَدِيدَةِ، وَ زِدْنَا فِيهَا أَشْيَاءَ تُسَاعِدُ عَلَى الاسْتِيعَابِ وَ الْفَهْمِ.

صدر في نفس السلسلة

1 - آدم	7 - لوط	13 - يونس	19 - داود
2 - إدريس	8 - إسماعيل	14 - موسى مع فرعون	20 - سليمان
3 - نوح	9 - إسحاق	15 - موسى مع قومه	21 - زكريا
4 - هود	10 - شعيب	16 - موسى مع الخضر	22 - يحي
5 - صالح	11 - يوسف	17 - إلياس مع اليسع	23 - عيسى
6 - إبراهيم	12 - أيوب	18 - ذو الكفل	24 - محمد

عليهم الصلاة و السلام

الإيداع القانوني :2007-3553
ISBN : 978-9961-25-004-4
9 789961 250044
Réf :072

المكتبة الخضراء
للطباعة والنشر و التوزيع

1 أ شارع الزواوة الشراقة الجزائر
www.bverte.net
e-mail:Info@bverte.com